

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

د. داليا محمد شوقي محمد الصادق^(١)

(قدم للنشر في ٠٢/٠٣/١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٤/٠٤/١٤٤١هـ)

المستخلص: هدفت الدراسة إلى التعرف على المنهج العقلي في الدعوة إلى الله، واستنباط أهم أساليبه من خلال الآيات القرآنية التي تتحدث عن النبي إبراهيم ﷺ خلال دعوته أبيه، وقومه، والملك النمرود، استخدم المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، لتحقيق أهداف الدراسة، كشفت الدراسة عن عدة نتائج أهمها: تنوع أساليب المنهج العقلي الدعوي، فمنها ما يتسم باللين والمدارة، وآخر يوصف بالعنف والشدة، اتسم المنهج العقلي الدعوي لنبي الله إبراهيم ﷺ بأنه أنموذجاً جامعاً لمعظم الأساليب الدعوية العقلية، كما أظهرت الدراسة كثرة استخدام الخليل ﷺ للأساليب العقلية الدعوية خلال دعوته أبيه وقومه، وقتلها أثناء مناظرته ملك زمانه، مما يدل على أن أصرة القرابة لها عناية خاصة أثناء مرحلة الدعوة، تجنب إبراهيم ﷺ أسلوب الصدام المباشر سواء مع أبيه أو قومه أو ملك زمانه، وكان دأبه إقرار الخصم على سبيل الافتراض أو الجدال؛ ليستدرجه بعد ذلك لما يريد، وعليه فالاستدراج أسلوب هام ينبغي تفقهه، وأوصت الدراسة بضرورة دراسة الدعاة لمنهج الخليل ﷺ الدعوي العقلي وأساليبه، حتى يتمكنوا من نشر دين الله ومقارعة خصومه والرد على شبهاتهم، وعلى الداعية تعيين مواطن الغي والضلال في المجتمع الذي يدعو فيه، وتحديد الأساليب التي تتفق مع عقول أفراد ومدى استعداداتهم، فإنه إن استطاع ذلك فسينجح في مهمته بحول الله، وعليه التحلي بالرفق وحسن الخلق حتى يُقبل الناس على دعوته، وتجنب الصدمات المباشرة التي تنفرهم عنه، كما أوصت الدراسة بأهمية تعاون المراكز والمؤسسات الدعوية فيما بينهم، وذلك بوضع خطط وبرامج مشتركة تناسب المجتمع الدعوي وفئاته حتى توثق الدعوة ثمارها المرجوة.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، المنهج، العقل، الدعوة، الأسلوب العقلي الدعوي.

(١) أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة المجمعة.

البريد الإلكتروني: d.alsadek.mu.edu.sa



Methods of The Mental Approach for call to Allah, the Prophet Ibrahim - peace be upon him - as a model

Dr. Daliyah Muhammad Shawqi al-Sadiq

(Received 30/10/2019; accepted 21/12/2019)

Abstract: The study aimed to explore the intellectual approach in calling to Allah and derive its key methods through Quranic verses that narrate the story of Prophet Ibrahim (peace be upon him) during his call to his father, his people, and the tyrant king Nimrod. The study employed both inductive and deductive methods to achieve its objectives. The findings revealed several key results, including the diversity of intellectual preaching methods, ranging from gentleness and diplomacy to violence and intensity. The intellectual approach to calling to Allah by the Prophet Ibrahim served as a comprehensive model for various intellectual preaching methods. The study also highlighted the frequent use of intellectual preaching methods by Ibrahim during his call to his father, his people, and his debate with the king of his time. This indicates the special attention given to intellectual methods, avoiding direct confrontation with his father, people, or the king. Instead, Ibrahim's approach involved acknowledging the opponent's position through assumption or argumentation to later guide them towards his intended message. Therefore, the study emphasized the importance of understanding and mastering the art of persuasion as an essential aspect of the intellectual approach. The study recommended further research on the intellectual preaching methods of Prophet Ibrahim to enable contemporary preachers to propagate the religion of Allah, confront adversaries, and respond to their doubts. It urged preachers to assess the areas of ignorance and deviation in the society they are addressing, determine methods that resonate with the people's minds, and gauge their readiness. Success in this mission, with the help of Allah, requires gentleness, good manners, and avoiding direct shocks that may alienate people. Additionally, the study emphasized the importance of collaboration among preaching centers and institutions by developing joint plans and programs that suit the target audience and demographics, ensuring the desired outcomes of the call to Allah.

Key words: Approach, Methodology, Intellect, Calling, Intellectual Preaching Approach.

المقدمة

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك ﷺ وعلي آله الطيبين، وأزواجه الطاهرين، وصحابه الغر الميامين، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدين، أما بعد:

مما لا ريب فيه أن الدعوة إلى الله - تعالى - من أجل الأعمال وأحبها إليه، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، أي: لا أحد أفضل كلاماً، وأحسن حالة ممن دعا إلى الله سواء علم جاهلاً، أو وعظ غافلاً، أو جادل معرضاً، فأمر بعبادة الله، وزجر عما نهى الله عنه، ورسل الله خير من قام بهذه المهمة، وقد أمر الله رسوله ﷺ باتباع منهجهم واقتفاء أثرهم عامة، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ آتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، كما أمره باتباع ملة إبراهيم ﷺ خاصة، لقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] ومن اتباع ملته: سلوك طريقه ومنهجه في الدعوة إلى الله، ولعل أبرز ما يميز منهج إبراهيم ﷺ الدعوي اعتماده على العقل واستخدامه لأساليب متعددة حسبما يقتضي حال المدعوين، من هنا كان حرياً بالمهتمين بهذا الأمر أن يعملوا على دراسة المنهج العقلي الدعوي للخليل ﷺ واستنباط أهم أساليبه حتى يتمكنوا من تكوين صورة نموذجية للدعوة والدعاة، خاصة وأن البعض يعتقد أن أساليب المنهج العقلي محصورة في إقامة الحجّة، واستخدام الحوار والإقناع، في حين أن الأساليب العقلية كثيرة ومتنوعة، ذلك لأن المنهج العقلي يركز على جذب العقول واستمالة القلوب، فهو يُعد منهج حياة وتعايش بين الأفراد.

* مشكلة البحث وتساؤلاته:

مما لا شك فيه أن الدعاة في أي مجتمع هم صمام أمانه وعوامل إزالة كل شر وفساد، لذا فإن المجتمعات الإسلامية في أمس الحاجة لدعاة مخلصين، صادقين قولاً وفعلاً، مؤهلين علمياً وخلقياً، قادرين على مواجهة التحديات المعاصرة، خاصة في هذا العصر الذي أصبحت فيه الماديات تحكم عقول أغلب الناس سواء مسلمين أو غير مسلمين، وهنا سؤال يطرح نفسه: هل من الممكن الاستفادة من توجهات العقل المعاصر في مسيرة الدعوة إلى الله؟ السؤال بأسلوب آخر: ما هي الطريقة المثلى للدعوة إلى الله ﷻ في ظل انفتاح الأمم والثقافات على الأمة الإسلامية؟ فالله ﷻ تحدث في القرآن الكريم عن أنبيائه ﷺ ودعوة أقوامهم إليه سبحانه؛ وأمرنا بالافتداء بهم ﷺ واتباع منهجهم، والاستفادة من حججهم وأساليبهم، التي يمكن من خلالها الوصول للآتي:

- ١- إمكانية توحيد الأمة على منهج دعوي عقلي مستفاد من سيرة أنبياء الله ﷺ أو أحدهم.
- ٢- تكوين نموذج مشترك يشمل على أهم أساليب الطرح والتفكير والحوار لدعوة الناس إلى الحق.

وما تجدر الإشارة إليه: أن الله ﷻ وضع لأنبيائه أطراً عامة تقوم عليها الدعوة، بيّنها في قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: ١٢٥]، وترك لعقولهم حرية التفكير العقلي خلال دعوتهم، فهم الذين يحددون: متى يدعون، وبماذا يدعون، وكيف يدعون، وهذا تأكيد منه - تعالى - على مكانة العقل، بهذه الحثيات يمكن لنا كباحثين أن نستخلص من وقائع دعوتهم ﷺ عامة، والنبي إبراهيم خاصة، المنهج العقلي الدعوي، وأساليبه، وبيان صلاحيته في كل زمان ومكان لمواجهة التغيرات المعاصرة المتلاحقة، وتفزع عن هذا التساؤلات الآتية:

- ١- ما المقصود بالمنهج العقلي الدعوي، وأساليبه؟

٢- ما هي منزلة العقل في الإسلام؟

٣- ما هي أهم أساليب المنهج العقلي التي استخدمها الأنبياء ﷺ أثناء رحلة الدعوة إلى الله؟

٤- ما هي أهم أساليب المنهج العقلي التي استخدمها نبي الله إبراهيم ﷺ خلال دعوة أبيه

وقومه وملك زمانه إلى الله سبحانه؟

* أهداف البحث:

تبلورت أهداف البحث في النقاط التالية:

1- تعريف المنهج العقلي الدعوي، وبيان مكانة العقل في الإسلام.

٢- استنباط أهم أساليب المنهج العقلي للأنبياء ﷺ خلال دعوتهم إلى الله تعالى.

٣- استنباط أهم أساليب المنهج العقلي للنبي إبراهيم ﷺ في دعوته: أبيه، قومه، والملك

المنمرد.

* أهمية البحث:

تمثلت أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

١- تُعد دراسة المنهج العقلي الدعوي لنبي الله إبراهيم ﷺ اختصارًا لوقت وجهد كل من

يحمل همّ الدعوة إلى الله، حيث كشفت الدراسة عن أهم الأساليب العقلية التي يحتاج إليها

الدعاة أثناء تحاورهم ودعوتهم الآخرين.

٢- دراسة المنهج العقلي وتحديد أساليبه تُعين على توظيف هذه الأساليب وتحديد

مواطن استخداماتها، فهناك أساليب يحسن للدعاة استخدامها مع غيرهم من المسلمين، وأخرى

تكون أنجع مع غير المسلمين فلكل بيئة أو مجتمع أساليب تناسبه، ومتى ما أدرك الداعية ذلك

فقد أنجز نصف المهمة.

٣- إمكانية الرد على الشبهات ومقارعة الخصوم باستخدام الأساليب العقلية الإبراهيمية،

فإن ما تعرض له الخليل في دعوته هو مصير الدعاة في كل عصر، وإن اختلفت المسميات

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

وتطورت الوسائل وتعددت، لذا فإنه ﷺ يُعد نبأاً للدعاة في الصبر والجهاد والصدع بالحق قولاً وفعلاً في كل زمان ومكان.

* منهج البحث:

اتبعت الباحثة منهجين علميين، هما: المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وذلك بجمع معظم الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، واستنباط أهم ما تضمنته من أساليب عقلية دعوية والتعريض عليها.

* الدراسات السابقة:

بعد البحث لم تقف الباحثة - حسب علمها - على دراسة مطابقة لعنوان ومضمون هذا البحث، ولكن وجدت بعض الدراسات العلمية التي تناولت أطراف وأجزاء منه، أو تناولته من زاوية مغايرة لموضوع الدراسة، كأن يكون الموضوع يتناول المنهج العقلي للأنبياء وأساليبهم الدعوية عامة، كما في:

١- المنهج العقلي للأنبياء وخصائصه في القرآن الكريم (دراسة عقديّة وتحليلية)، رسالة ماجستير للطالب: محمد نظمي سعد، تناولت الحديث عن المنهج الدعوي العقلي للأنبياء عامة، وبينت أنه يتفرع عنه مناهج عقلية أخرى، ثم ذكرت أهم خصائص المنهج العقلي في القرآن الكريم وما تميز به من الشمولية والواقعية والتوازن واليسر.

٢- أساليب الدعوة في حياة الرسل والأنبياء، للدكتور إبراهيم حسن إبراهيم، وفيه تناول أهم الأساليب العامة كأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والصبر على البلاء، وأسلوب الحجّة والمجادلة، التي انتهجها بعض الرسل كالنبي صالح، نوح، أيوب، شعيب، سليمان وغيرهم ﷺ لتبليغ دعوتهم.

كما أن هناك أبحاث تناولت منهج النبي إبراهيم ﷺ في الدعوة وأساليبه، منها:

٣- منهج الدعوة إلى الله النبي إبراهيم أنموذجاً، للمؤلف: أنسام زيد محيي، وفيه تناول

الباحث الحديث عن النبي إبراهيم ومعالم دعوته لأبيه والملك النمرود دون تحديد للمنهج الدعوي أو الأساليب الدعوية المستخدمة، كما تحدث عن المنهجية الحوارية خلال دعوته قومه، وعليه فإن البحث لم يتطرق للحديث عن المنهج العقلي وأساليبه.

٤- أساليب إبراهيم ﷺ في الدعوة، المؤلف الرئيس عفاف مكاوي محمد قبلي، وفيه جاء الحديث عن نسب إبراهيم ﷺ ومكانته، وحياته، وصفاته الدعوية، ثم ذكر جملة من الأساليب العامة التي استخدمها الخليل كأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، المجادلة، القدوة، الدعاء، التضرع، والهجرة.

٥- إبراهيم ﷺ ودعوته في القرآن الكريم، لأحمد البراء الأميري، الذي تناول فيه الحديث عن إبراهيم الإنسان (اسمه ونسبه - مولده ووفاته - عصره وهجرته)، ثم تكلم عن الدعوة والمدعوين (أبيه وقومه والملك)، ثم عن ابتلائيه وصبره، وفضائله وشمائله، ورد الشبهات عنه... وغيرها الكثير من الدراسات والمقالات البسيطة عبر روابط الشبكة العنكبوتية أغلبها متكررة، ومعالجاتها جزئية إلى حد ما، ومنها لم تأخذ طابع البحوث العلمية.

والله أسأل التوفيق والسداد، وهو من وراء القصد ويهدي السبيل،،،

المبحث الأول

التعريف بالمنهج العقلي الدعوي ومكانة العقل في الإسلام

قبل الشروع في البحث، يحسن التمهيد ببيان معاني مفردات عنوانه لغة واصطلاحاً، والوقوف على المقصود من أساليب المنهج العقلي الدعوي، وبيان مكانة وأهمية العقل في الإسلام، واشتمل المبحث على مطلبين:

* المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث: الأسلوب - المنهج - العقل - الدعوة.

أولاً: تعريف الأسلوب:

الأسلوب لغة: الطريق، أي الطريق الذي يسلكه الشخص في تفكيره، ويجمع أساليب، والأسلوب بالضم، الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه^(١).
الأسلوب اصطلاحاً: اختيار الكلام بما يتناسب مع مقاصد صاحبه^(٢)، وعليه: فالأسلوب الدعوي هو السبيل الذي ينتهجه الداعي خلال دعوته، ويُعد دوراً أساسياً في الوصول إلى غاية وهدف الداعي.

ثانياً: تعريف المنهج:

المنهج لغة: جميع تصاريف هذه الكلمة تدل على أن المراد بها: الطريق والمسلك الواضح المستقيم، يقال: «طَرِيقٌ نَهْجٌ: بَيْنٌ وَاضِحٌ، وَالنَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وَالْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ»^(٣)، وقيل: المنهج والمنهاج هو

(١) لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٢٥)، مادة: سَلَبَ.

(٢) النقد الأدبي، أحمد أمين (ص ٧٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٣٦٦)، مادة: نَهَجَ، المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٦٥٦)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص ٢٨٠)، والآية من سورة المائدة: ٤٨.

الطريق المستقيم الواضح في الدين^(١).

المنهج اصطلاحاً: الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو عمل شيء أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة، وبنظام معين، وبغية الوصول إلى غاية معينة^(٢)، وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن **المنهج عبارة عن:** الطريق الواضح الذي يسلكه الفرد حتى يصل إلى غايته وهدفه، بلا التواء ولا تعرج.

ثالثاً: تعريف العقل:

أصل العقل في اللغة: الإمساك والاستمساك، وحبس الشيء؛ ك: عَقَلَ البعير بالعقال، وعَقَلَ لسانه: كَفَّهُ، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه، فالعقل حابس عن ذميم القول والفعل، والعقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها^(٣)، إذا فالمفهوم اللغوي للعقل يشير إلى أنه: أداة تمنع صاحبه من الوقوع في المهالك، وتحول بينه وبين ارتكاب الخطأ، وتحبسه عن ذميم الأقوال والأفعال.

العقل في الاصطلاح: تنوعت تعريفاته اصطلاحاً، منها: أنه: النور الروحاني الذي به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية، لأنه يحبس عن تعاطي ما يقبح، ويعقل على ما يحسن^(٤)، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعريف جامع يشتمل على أربعة معان قيلت في العقل، هي: «الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم، المعنى الأول: الغريزة التي في الإنسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان؛ فبها يعلم، وبها يعقل، وبها يميز، وبها

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١٥٢).

(٢) المعجم الفلسفي، مراد وهبه (ص٦٢٨).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٦٩)، المفردات للراغب الأصفهاني (ص٤٤٥)، لسان العرب لابن منظور (١٠/٢٣٢، ٢٣٣)، مادة: عَقَلَ.

(٤) روح المعاني للآلوسي (١/٢٤٩).

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

يقصد المنافع دون المضار، وهذه العزيمة شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف؛ فإذا عدت في الإنسان، سقطت عنه التكاليف الشرعية.

المعنى الثاني: العلوم الضرورية التي تلازم الإنسان العاقل؛ فتقع في نفسه ابتداءً، ولا تنفك عن ذاته؛ وهي علوم لا تحتاج إلى دليل لإقرارها وغير مكتسبة، كالعلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات، **المعنى الثالث:** العلوم النظرية المكتسبة من النظر والاستدلال والتجارب، والناس فيها ليس على درجة واحدة، فكلما كثرت تجارب الإنسان، زاد عقله، بسبب ازدياد علومه، **المعنى الرابع:** الأعمال التي يستوجبها العلم؛ من إيمان بالله، وتصديق بكتبه، ورساله، والتزام بأمره ونهيه؛ كحبس النفس على الطاعات، وإمساكها عن المعاصي، فلفظ العقل يطلق على العمل بالعلم^(١)، أي: أن حال من لم يعمل بعلمه أنه يمسك علومًا ضرورية فطرية يعرف بها ربه ﷻ ولكن هواه صده عن اتباع موجب العقل فصار لا عقل له بهذا الاعتبار، وهذا المعنى أورده الله ﷻ في كتابه فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، قال ابن عاشور في الآية: «إن القوم كانوا مستجمعين قوى العقل والحس، وأنهم أهملوا الانتفاع بقواهم، فجحدوا بآيات الله واستهزءوا بها وبوعيده، فحاق بهم ما كانوا يستهزئون به»^(٢)، مما سبق يتضح: أن للعقل أربعة معاني، لا ينفك واحد منها عن الآخر، متى فقد أحدها قيل لصاحبه: ليس له عقل، لهذا قال ابن تيمية ﷻ: «العقل هو علم، أو عمل بالعلم، وغريزة تقتضي ذلك»^(٣).

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والإلحاد، لابن تيمية، (ص ٢٦٠).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٥٢).

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١٠/٣٠٢).

رابعاً: تعريف الدعوة:

لفظ (الدعوة) مصطلح إسلامي، وثمة علاقة وثيقة بين مدلول هذا اللفظ لغويًا، وبين استعماله كمصطلح إسلامي، فالدعوة لغة: مشتق من لفظ (دَعَوَ)، ومعناه: أَنْ تُبَيِّلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ، والدعاءُ إلى الشيء: الحثُّ على القصد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، والدُّعَاءُ: قَوْمٌ يَدْعُونَ إِلَى بَيْعَةٍ هُدًى أَوْ ضَلَالَةً^(١)، ومنه قوله: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، من أقوال أهل اللغة يظهر أن معنى الدعوة: قصد الناس بكلام ونحوه بغرض ترغيبهم واستملائهم.

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ اصطلاحاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ هي الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وبما جاءت به رسله بتصديقهم بما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا^(٢).

وقيل هي: حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل^(٣). وقيل الدعوة إلى الله هي: تبليغ الإسلام إلى الناس كافة، وحثهم على الدخول فيه والتزامه، وتعليمهم إياه، وتربيتهم على معانيه، من خلال الأساليب والوسائل المأذون بها شرعاً، والتي تخاطب العقول بكل انفتاح، وتكون عامل جذب لها، والتزام ذلك في حياة الداعي والمدعو من ترقية للنفوس والمداومة على الأعمال الصالحة^(٤).

مما سبق يلحظ: مدى ارتباط التعريف اللغوي بالاصطلاحي إذ الداعي إلى الله يعتمد إلى تبصير الناس بأمور دينهم، وحثهم على الخير ودلهم إلى الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٨٠)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٦٨)، مادة: دَعَا، المفردات للراغب (ص ٢٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ١٥٧).

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ (ص ١٧).

(٤) الوسائل الدعوية، الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان (ص ٩).

المنكر، لينعموا بالفوز دنيا وأخرى.

وبناءً على ما سبق من تعريفات لمصطلحات الدراسة، فإنه يمكن القول بأن المنهج العقلي الدعوي: يتمثل في مجموعة من الأساليب الواضحة التي تركز في تأثيرها واستمالة الناس على العقل، وتحث الإنسان وتدعوه إلى التدبر والتفكير والاعتبار، ليهتدوا إلى الصراط المستقيم.

* المطلب الثاني: منزلة العقل في الإسلام.

العقل منحة ربانية عظيمة، ونعمة من أجل نعم الله على الإنسان، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، والمعنى أي: «فضلناهم في العلوم، والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل، والحسن من القبيح... عليهم أن يشكروا هذه النعم، ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة»^(١)، والمتأمل في النصوص القرآنية يلحظ مزيد الاهتمام وكثير العناية بالعقل، وفيما يلي سرد لأهم النقاط التي تبين ذلك والاستدلال عليها:

١- العقل من أهم أدوات معرفة الخالق ﷻ: فالتفكير في مخلوقات الله وبديع صنعه يزيد في الإيمان، ويسهم في تقوية صلة الإنسان بربه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيْتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ففي الآية الكريمة يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السماوات والأرض من آلاء باهرة، «والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل لما فيها، وما تحتوي عليه، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»^(٢)؛ لأن هذه الآيات تدل على وحدانية الله ونفاذ قدرته، وكل هذا يقتضي زيادة الإيمان بالخالق المدبر؛ ناهيك عن أن العلم الذي هو

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٨٦/٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٧٣٤/٣).

نتاج العقل يورث صاحبه معرفة بالله، فأكثر الناس خشية لله ﷻ العلماء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] «لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنی كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»^(١) إذا فمدار الخشية هنا العلم.

٢- العقل مناط التكليف: أعلى الإسلام من شأن العقل إذ جعله مناطاً للتكليف، فخطاب الشارع لا يتوجه إلا لمن كان له عقل، أما في حالة فقد ه أو ضعفه لسبب خارج عن الإرادة كالمرض فإن التكليف يسقط، وعلى هذا أجمع فقهاء الأمة، ففي حديث عائشة -رضی الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقَلَ)^(٢)، ومعنى رفع القلم، أي: رفع التكليف والمؤاخذة عنهم لزوال عقلهم إما كلية أو مؤقتاً، قال الأمدي: «اتفق العقلاء على أن شرط المكلف أن يكون عاقلاً فاهماً للتكليف، لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال كالجماد والبهيمة»^(٣).

٣- المدح والثناء من الله ﷻ لأصحاب العقول السليمة، الذين يعملون عقولهم بالنظر والتفكير والتعمق، وذلك في آيات، منها: قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، قال الإمام ابن كثير ﷺ: «أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون الذين قال الله

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٤٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الحدود - باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا (٤/١٤١)، رقم (٤٤٠٣)، وقال الزيلعي: رواه الحاكم في «كتاب المستدرک في أواخر الصلاة»، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ينظر: نصب الرأية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي (٥/٣٧٢، ٣٧٣).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، للإمام الأمدي (١/١٩٩).

فيهم: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦].^(١)

٤- اللوم والذم والتوبيخ لمن عطلوا عقولهم عن التأمل والتدبر، ومن الآيات التي نلتمس فيها معنى الذم على تجميد العقل وتهميشه عن فهم رسالة السماء، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، أي: أن شر ما يدب على الأرض في حكم الله الحق الذين لا يلقون السمع لمعرفة الحق، كأنهم فقدوا حاسته، والذين لا يقولون الحق، كأنهم فقدوا قوة النطق، والذين فقدوا فضيلة العقل الذي يميز بين الحق والباطل، فوصفهم بعدم التعقل تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأضم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره ويهتدي إلى بعض مطالبه، أما إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فقد بلغ الغاية في الشرية وسوء الحال، وبذلك يظهر كونهم شر الدواب حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها^(٢).

٥- الأمر بالمحافظة على العقل: عظم الإسلام أمر العقل من خلال تحريم كل ما يغطي فعله وأثره فضلاً عما يزيله، إذ بصلاحه تستقيم وجهة المسلم نحو خالقه، وبفساده تفسد وجهته نحو معبوده، «ويرى الأصوليون أن حفظ العقل مقصداً من مقاصد الشريعة، ويستدلون على ذلك بتحريم المسكر وبالعبودية الشرعية عليه»^(٣)؛ لذا شرع الله لنا من التشريعات ما يبين أنه ضمن كليات^(٤) لا تقوم ذات الحياة إلا بها، فمن التشريعات الدالة على مقصد حماية العقل والحفاظ عليه في المنظور القرآني: تحريم شرب الخمر ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتْمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، كما شرع عقوبة رادعة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٤٥)، سورة يوسف: ١٠٥-١٠٦.

(٢) ينظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٩/٥٢١) باختصار، روح المعاني للألوسي (٩/١٨٩).

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي (١/٤٥).

(٤) أعني بالكليات: الكليات الخمس وهي: حفظ الدين، والنسل، والعقل، والمال، والعرض.

على تناول الخمر والمسكرات، وذلك للأضرار النفسية والاجتماعية والمالية على الفرد والمجتمع، فعن السائب بن يزيد قال: (كُنَّا نُؤْتَى بِالشَّارِبِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِمْرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ فَتَقُومُ إِلَيْهِ بِأَيْدِينَا وَنَعَالِنَا وَأُرْدِيَتَنَا حَتَّى كَانَ آخِرُ إِمْرَةِ عُمَرَ فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ حَتَّى إِذَا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ)^(١)، مما سبق يتبين: أنه ليس ثمة عقيدة تحترم العقل الإنساني وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية، وليس ثمة كتاب خاطب العقل وأعلى منزلته كالقرآن الكريم، يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: «القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه»^(٢).

(١) صحيح البخاري: كتاب الحدود - باب الضرب بالجريد والنعال (٦/٢٤٨٩)، رقم (٦٣٩٧).

(٢) التفكير فريضة إسلامية عباس محمود العقاد (ص ٨).

المبحث الثاني

أساليب المنهج العقلي الدعوي للأنبياء ﷺ

الدعوة إلى الله ووظيفة الأنبياء ﷺ الذين هم صفوة الله وخيرته من الخلق، اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغها للناس، ولا شك أن اختيارهم كان لصفات يحملونها لم تتحقق في غيرهم، منها: رجحان العقل وذكائه، والامتثال لمنهج الأنبياء في دعوتهم إليه ﷺ يجد أنهم نهجوا منهجاً عقلياً قوياً رصيناً متمثلاً في الاجتهاد البشري منهم دون نزول وحي مباشر يخبرهم ما يقولون، واجتهادهم هذا كان في ظل اعتمادهم على القواعد العامة التي حددها الله ﷻ لهم كما في قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فهذه الآية الكريمة تعتبر خطأً عريضاً وقاعدة عامة في الدعوة إلى الله، تتجلى من خلال جهد الأنبياء العقلي، حيث ترك لهم مجال التفكير خلال دعوتهم: كيف يدعون، ومتى، والوقت المناسب للدعوة، وهذا تأكيد من الله على مكانة العقل، وعليه فلا أنبياء ﷺ في دعوتهم إلى الله طريقين:

الأول: من جهة الوحي حيث يخبرهم ماذا يقولون، وهذا أمر به كل نبي كما في قوله تعالى للنبي محمد: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، فدور النبي هنا دور المبلغ عن الله، وهذا يصدق على الكثير من الآيات التي بدأت بـ قل مما يدل على أن الكلام موحى به من الله، **والطريق الثاني:** الدعوة من جهة النبي واجتهاده، لكن قد يكون اجتهاده خلاف الأولى فيأتي الوحي بالعتاب اللطيف لتصحيح هذا الاجتهاد البشري، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ سُرٌّ حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، قال الإمام الطبري: «يعرف الله نبيه محمد ﷺ أن قتل المشركين الذين أسرهم ﷺ يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من

أخذ الفدية منهم وإطلاقهم»^(١)، ووجه الدلالة في الآية: أن الأنبياء يتصرفون باجتهداد بشري عقلي خلال دعوتهم أقوامهم بأساليب وطرق شتى، وعندما يكون اجتهادهم غير الأولي ينزل الوحي للتصحيح والإرشاد، وهذا تأكيد على بشريتهم، يقول الإمام الغزالي: «الرسول إنسان كامل يتصرف في مواجهة الأحداث بالعقل الذي صنعه القرآن، وهو العقل الإنساني الذي تحرك مع مسارات الفطرة»^(٢).

وإذا وقفنا على هذه الحقيقة علينا أن ندرك حقيقة أخرى وهي: أن استقبال عقول المدعوين للدعوة إلى الله ليس على صورة واحدة، فمنهم من يقبل عليها ويستجيب، ومنهم من يغلغ قلبه أمامها ويعرض عنها، ومنهم من يرفضها مع الاستهزاء والانتقاد، لذا ينبغي على الداعية أن يكون قادرًا على إيصال الدعوة إلى الناس بالكيفية المناسبة والدخول إلى عقولهم والوصول إلى قلوبهم من الباب الصحيح الذي يستقبلونه ويتقبلونه، فالداعية معنيٌّ ببذل الجهد واستفراغ الوسع في اختيار الأسلوب أو الطريقة التي يبلغ بها دعوته بما يؤدي الغرض ويوصل إلى المقصد وهو هداية الناس، ولأهمية هذا الأمر أرسل سبحانه كل رسول بلسان قومه ليبين لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، من هنا كان لزامًا أن تتنوع أساليب الدعوة ومناهجها حسبما يقتضي الحال، فالمنهج الدعوية من حيث الركائز التي ترتكز عليها تنقسم إلى ثلاثة أقسام - تبعًا لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية -: المنهج العاطفي، المنهج العقلي، والمنهج الحسي أو التجريبي^(٣)، والمتدبر

(١) جامع البيان للطبري (٥٩/١٤).

(٢) كيف نتعامل مع القرآن، للإمام محمد الغزالي (ص ٨٠).

(٣) أصول الدعوة ومناهجها، د رمضان محمد مطا زيد وآخرون، (ص ٢٦١)، والمقصود بركائز الفطرة الإنسانية:

القلب، العقل، والحس، فما كان من المناهج مرتكزًا على القلب سمي المنهج العاطفي، وما كان مرتكزًا

على العقل سمي المنهج العقلي، وما كان مرتكزًا على الحس سمي المنهج الحسي أو التجريبي.

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

يلحظ اعتناء القرآن الكريم بهذه المناهج الثلاثة، وذلك من خلال سرده لقصص الأنبياء ﷺ حيث تضمنت القصص مختلف مناهج وأساليب دعوة الناس إلى الحق، والتي منها (المنهج العقلي) موضوع الدراسة^(١)، وفيما يلي بيان لأبرز أساليب المنهج العقلي التي استخدمها انبياء الله في الدعوة إليه، كلها مستنبطة من خلال القصص القرآني:

١- أسلوب الحجة العقلية: هو من أهم الأساليب التي استخدمها الأنبياء في الرد على كل من أنكر دعوتهم إلى الله، فرسل الله - صلوات الله عليهم - دار بينهم وبين معاندي قومهم حوارات قامت على الحجج العقلية، فسجل القرآن الكريم محاجاة فرعون لموسى ﷺ في أمر الألوهية والتوحيد، ومحاجاة النمرود مع إبراهيم ﷺ وبينه وبين عبدة الكواكب، وأشار إلى حوارات نوح وهود وصالح ﷺ مع أقوامهم، وغيرها من الحوارات التي التزم فيها الرسل بإقامة الحجة العقلية على خصومهم، ودائماً ما ينتهي هذا الأسلوب العقلي بأن يحتم على المدعو أحد أمرين، الأول: إما أن يسلم نفسه للدعوة، وذلك إما بالتسليم الكامل (الإيمان)، أو التسليم الضمني (الانسحاب)، والثاني: إنكار الدعوة بجحود، مع استخدام الأسلوب القمعي لثني الداعية عما يدعو إليه.

٢- أسلوب الاستدراج العقلي: هو أحد الأساليب العقلية غير المباشرة المتبعة في الدعوة إلى الله، يهدف إلى استقطاب المتلقي، ويدعوه ليبدأ بالتفكير وإثارة العقل فيصل إلى الغاية المرجوة بنفسه فيؤمن عن يقين ودراية. ويظهر لنا هذا الأسلوب في بعض القصص القرآني خلال دعوة الأنبياء لأقوامهم، فقد استدراجوا أقوامهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ويُعد إبراهيم ﷺ رائد هذا الميدان، فقد ضرب أروع الأمثلة في استدراج ملك زمانه وأبيه وقومه^(٢)، أيضاً

(١) عُرف المنهج العقلي بأنه: النظام الدعوي ومجموع أساليبه التي تركز على العقل، وتدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار. انظر: أصول الدعوة ومناهجها، (ص ٢٧٤).

(٢) سيأتي بيان ذلك في المبحث الثالث.

استخدمه نبي الله يوسف ﷺ مع صاحبيه في السجن للإيمان بوحداية الله تعالى فيحكي النص القرآني القصة بقوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَدُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْطَلِحِي السِّجْنَ عَارِبَاتٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْطَلِحِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ يوسف: ٣٦-

[٤١]، فنجد أسلوب الاستدراج جلي في حديثه ﷺ مع الفتيين، وكان غاية الاستدراج هو إثبات وحداية الله وإقناعهما بأنه هو الإله الأوحد، قال الإمام السعدي: «ولعل يوسف ﷺ قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه؛ ليكون أنجع لدعوته وأقبل لهما»^(١)، فلم يصرح بدعوتها للإيمان من أول الأمر لاحتمالية مواجهته بالرفض من قبلهما، فاستدراجهما من خلال إثبات أن عبادة الآلهة المتفرقة اعتقاد باطل إذا ما قوبل بعبادة الإله الواحد القهار، فإن كثرة الآلهة توجب الخلل والفساد في هذا العالم، فكان النبي يوسف ﷺ قدح قدحة في ذهني الفتيين لكي يتفكرا فيهديهما تفكيرهما إلى الحق ووحداية الله تعالى وفي نهاية الاستدراج نجده صرح بدعوتها وأمرهما بالعبادة لأنهما أصبحا مستعدين لتقبل الأمر، وهنا تتضح فائدة الاستدراج في الدعوة إلى الله تعالى والإيمان بوحدايته.

٣- أسلوب الاحتواء: الاحتواء أسلوب عقلي اتبعه الأنبياء ﷺ خلال مرحلة الدعوة إلى الله نظراً لحرصهم الشديد على هداية أقوامهم، فالأسلوب العقلي ليس ضرورياً أن يكون

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٤/٧٨٨).

بالحجج الكلامية فقط، بل قد يكون سلوكاً وتصرفاً المقصد منه جذب العقول واستمالة الأفتدة، والمتتبع لحوارات الأنبياء مع أقوامهم يجد أنهم استفتحوا أكثرها بخطابهم بكلمة (يا قوم) وهى كلمة تدل على التودد والتقرب وعدم التخلي عنهم لأنه منهم وهم منه، ويظهر ذلك في العديد من الآيات القرآنية منها، قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥] وغيرها، قال ابن عاشور: «وعبر في نداءهم بوصف القوم لتذكيرهم بآصرة القرابة، ليتحققوا أنه ناصح ومريد خيرهم، وأضاف (القوم) إلى ضميره للتحييب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم»^(١)، أيضاً من صور احتواء الأنبياء لأقوامهم إتاحة الفرصة للتعبير بحرية عن رأيهم وما يجول بخاطرهم تجاه دعوتهم وسماع أقوالهم وأفكارهم، والقرآن الكريم عرض الكثير من هذه المشاهد، منها: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدَهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٦٥-٧٠]، فرغم الإساءة التي تعرض لها النبي هود ﷺ إلا أنه أعطاهم حرية التعبير عن رأيهم سامعاً لأقوالهم إلى النهاية، ومن ثمَّ فالداعية عليه أن يستمع لمن يدعوهم، وإلا فلا دعوة مقابل التكبر عن السماع للطرف الآخر حتى ولو كان على باطل، وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي: «فلا بد أن أقول للآخرين: هاتوا برهانكم، وإلا كيف أحاورهم؟ وكيف يتم إقناعهم دون أن أسمع إلى ما عندهم؟ لا بد أن أعرف ما عندهم معرفة دقيقة وصحيحة دون تزييف، وهم الذين

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨٨/٩).

يصورون وجهة نظرهم، لا أنا، أكون سامعاً لكل ما لديهم بدقة... وهذا هو الإنصاف، وديننا دين الإنصاف^(١)، إذًا فاحتواء الطرف الآخر بالإصغاء إليه وسماع آرائه يُعد أحد الأساليب العقلية، فمن البديهي أن من نتركه يتحدث ونستمع له باهتمام، سيستمع لنا ونحن نتحدث لأننا قمنا باستمالاته وتهيبته لذلك، والعكس صحيح.

٤- أسلوب الترهيب والترغيب^(٢): هما من الأساليب العقلية التي اعتمدها الأنبياء في دعوتهم إلى الله، فالعقل البشري له مشارب، فتارة يصلح له الترهيب وأخرى يكون الترغيب له أفضل، وأنبياء الله رغبوا أقوامهم بما أعدده الله للمؤمنين من نعيم في الآخرة وسعادة في الدنيا، وأرهبوهم بما أعدده للكافرين والمعرضين عن هديه من عذاب ووعيد في الآخرة، لهذا وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦]، قال الإمام الطبري: «وما نرسل رسلنا إلا ليشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة، ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب، بعظيم عقابه، وأليم عذابه»^(٣)، قال ابن عطية: «إنما بعثناهم مبشرين من آمن بالجنة، ومنذرين من كفر بالنار»^(٤)، ومن أمثلة ترغيب الأنبياء وترهيبهم: ما جاء في سورة هود على لسان نبي الله شعيب ﷺ أنه قال: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٥) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٨٩-٩٠]، فالنبي الكريم استخدم أسلوب الترهيب في دعوة قومه خوفاً من أن يصيبهم

(١) كيف نتعامل مع القرآن، للإمام محمد الغزالي (ص ٢٨٥-٢٨٦) باختصار.

(٢) الترغيب: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه، والترهيب: يكون بما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعدم قبوله. انظر: فقه الدعوة، سعيد القحطاني (١/١١٧).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٨/٥٠).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٦٢٦).

ما أصاب الأقوام المتقدمة، وهذا يحتم على العقول الاعتبار بعاقبتهم لكون قصصهم معهودة لديهم، قال ابن كثير في معنى الآية: «أي: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط من النعمة والعذاب»^(١)، ثم بعد هذا الترهيب جاء يرغبهم فذكرهم بصفات الله وأنه رحيم ودود، فقال: «استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي: لمن تاب وأناب»^(٢)؛ لذا أثر اسم الودود هنا لأنه يعني: «الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم ويثني عليهم»^(٣)، مما سبق نلاحظ أن المزوجة في الحوار بين أسلوب الترهيب والترغيب والترغيب والترغيب لها أثرها في الإقناع ببيان حال المستجيب لها والمعرض عنها؛ لأن في النفس البشرية نزعة فطرية فهي ترغب فيما تحب، وترهب مما تكره، كما أن هذا الأسلوب يحدث في العقل نوعاً من إعادة التوازن، إذ يستثير تفكيره في كلا الأمرين وعاقبتهما، وهكذا يجب أن يتعامل الداعية مع المدعو فإذا كان جانب الترهيب يحتاج إلى تعزيز قام بزيادة الدعوة من باب الترهيب، وإذا كان العكس زاد في باب الترهيب، هكذا حتى تتوازن الدعوة وتصبح مقبولة للعقول، فلا يعقل دعوة كلها ترهيب دون ترغيب، ولا كلها ترغيب دون ترهيب، فيحس أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء، وهو منهج وسطي مطلوب.

٥- أسلوب التدرج^(٤): التدرج سنة الله في خلقه لأخذ الناس بالأولى فالأولى، إذ ليس من

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣٤٦).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي أبو حامد (ص ١٢٢).

(٤) التدرج: أسلوب منطقي في لغة الخطاب الديني، وفي مجال الفكر، ويعني أن نبدأ بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل منهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات. انظر: تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، د. محمد منير حجاب (ص ٢٨٨).

السهل تغيير ما ألفته العقول واعتادت عليه النفوس جملة واحدة، لذلك كان التدرج أحد الأساليب المنطقية التي استخدمها الأنبياء في الدعوة، ولا يتصور دعوة إلى الله دون تدرج سواء كان ذلك في مضمون الدعوة، أو في الشخص المدعو، أو في الأسلوب، وفيما يلي البيان:

أولاً: التدرج في مضمون الدعوة: الحكمة تقتضي التدرج في أمور الدعوة، ففي الدعوة واجبات ومستحبات ومحرمات ومكروهات وكليات وجزئيات وقضايا صغرى وكبرى، وكلّ يجب أن توضع في مواضعها، فقضايا العقيدة مثلاً تأتي في المقام الأول، وهذا ما انتهجه الأنبياء فكانت الدعوة إلى توحيد الله هي أول ما دعوا إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، قال القاسمي: «فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له»^(١)، وما من نبي بعثه الله إلا جاء يقول لقومه: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، فلا يصلح دعوة مجتمع ما إلى الصلاة مثلاً وهو يشرك بالله، لا بد من الإيمان أولاً، وبعد الإيمان تسير الدعوة في تسلسل بالأولويات، وهذا مشهد قرآني يصور لنا قصة نبي الله لوط مع قومه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٣٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٥﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴿١٣٧﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦٦]، فنلاحظ كيف تدرج نبي الله لوط في دعوة قومه حيث بدأ معهم بالدعوة إلى تقوى الله وتوحيده، ثم توجه إلى أمر هام في الدعوة وهو إبعاد قومه عن الانحلال الإخلاقي الذي كان يشغل المجتمع في ذلك الوقت، فليس من الحكمة أن يبدأ بدعوتهم في أمور فرعية وترك أمر عظيم استحکم فيهم، والتركيز على إصلاح الجانب الأخلاقي فيه نوع من مخاطبة العقول، فاستدعى بكلامه أن يجذب إليه الناس لأنه يتكلم فيما يهم كل فرد في مجتمعه، فكان تدرجه في الدعوة أسلوباً عقلياً حكيماً لاهتمامه بأولوياتها.

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١١/٤٢٦٤).

ثانياً: التدرج في الشخص المدعو: هو أحد الأساليب العقلية النبوية الثابتة في القرآن الكريم، فالله سبحانه أمر نبيه محمداً ﷺ بدعوة عشيرته، فقال له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، أي: «الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والديني، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس»^(١)، وإنما جاء ذلك مراعاة للتدرج بالشخص المدعو، قال الإمام الرازي: «أمره بدعوة الأقرب فالأقرب، وذلك لأنه إذا تشدد على نفسه أولاً، ثم بالأقرب فالأقرب ثانياً، لم يكن لأحد فيه طعن إلبته وكان قوله أنفع وكلامه أنجع»^(٢). إذاً فبدأ الداعية بخاصته دليل على أهمية الدعوة فلا يعقل أن يبدأ بدعوة الأبعد ثم يأتي للأقرب، ورسولنا ﷺ «كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم»^(٣)، وبعد دعوة الأهل ينطلق في الدعوة إلى من هو أبعد فأبعد، وعليه فإن دعوة الأبعد بعد الأقرب يجعل للداعية قاعدة من الأتباع يرتكز إليها في الدعوة وتكون له نصره.

ثالثاً: التدرج في الأسلوب: هذا النوع له أثر على نفس المدعو لكونه يجذب العقول لاعتماده على الإقناع، فالداعية يبدأ بالأسلوب الأسهل على النفس ثم ينتقل إلى مستوى أعلى حسب ما يتطلب الحال والمقام، فمثلاً نبي الله إبراهيم ﷺ كان بداية دعوته مع أبيه يستخدم أسلوب اللين واللفظ^(٤)، فجاء خطابه بصيغة التودد والشفقة، نستشعر ذلك من خلال ندائه لأبيه بكلمة ﴿يَتَأَبَّتْ﴾ وتكراره لها، لكن عندما رأى تصميم أبيه على الكفر انتقل إلى أسلوب فيه

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١٢٣٦/٥).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٤٨/٢٤).

(٣) المرجع السابق (١٩٩/٢١).

(٤) قال الإمام ابن حجر: الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٥٢٩/١٠).

بعض الشدة فشافهه بغلظة وجفاء، استقصاءً لأساليب الموعظة لعل بعضها أن يكون أنجع في نفس أبيه، فإن للنفوس مسالك، كما في ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرًا أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، فجملة: ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أسلوب توبيخ لعله يوقظ العقل من الغفلة عن الدين الحق، قال ابن عاشور: «فحكى الله تعالى عن إبراهيم في هذه الآية بعض مواقفه مع أبيه؛ وليس في ذلك ما ينافي البرور به، لأن المجاهرة بالحق دون سب ولا اعتداء لا تنافي البرور»^(١) فقد يقسو الإنسان أحياناً على شخص لمنفعته وإصلاحه، كانت هذه إطلالة موجزة على أبرز أساليب المنهج العقلي التي استخدمها أنبياء الله خلال فترة الدعوة إليه سبحانه من خلال تدبر القصص القرآني بوجه عام.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ٣١٥).

المبحث الثالث

أساليب المنهج العقلي الدعوي للنبي إبراهيم ﷺ

يُعد نبي الله إبراهيم ﷺ الإمام والقدوة لكل من تصدى للدعوة إلى الله بعد نبينا محمد ﷺ، وذلك في قيامه بما أمر الله به وصبره على الأذى والابتلاء؛ حتى يُخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الهداية والإيمان، وقد خصه الله بجملة من الخصائص في مواضع كثيرة من القرآن، فاتخذه خليلاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، أي: «إنه انتهى إلى درجة الخلّة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذلك إلا لكثرة طاعته لربه»^(١)، وجعله إماماً للناس يأتون هديه، لقوله: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رُبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، لقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، لهذه المناقب وغيرها وصفه رب العزة بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، «أي: كان عنده ﷺ من الخير ما كان عند أمة وهي الجماعة الكثيرة، فإطلاقها عليه ﷺ لاستجماعه كمالات لا تكاد توجد إلا متفرقة في أمة جمّة»^(٢)، أيضًا امتن عليه سبحانه بالعقل والرشد وسلامة الفكر قبل النبوة لعلمه تعالى بما يملكه من استعداد، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وفي الآية «إيماء إلى أن إبراهيم كان قد انفرد بالهدى بين قومه، وزاده تنويهاً وتفخيماً تذييله بالجملة المعترضة بقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: آتيناه رشداً عظيماً على علم منا بإبراهيم، أي: بكونه أهلاً لذلك الرشد»^(٣)، والمتتبع للقصص

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٢٣).

(٢) روح المعاني للآلوسي (١٤/٢٤٩).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/٩٣).

القرآني يلحظ أن قصة إبراهيم عليه السلام بمواضعها المتفرقة في الكتاب العزيز تنطوي على مناهج دعوية مختلفة لمجابهة التحديات والصبر على الإيذاءات التي واجهها خلال رحلة الدعوة إلى الله، والمتدبر أيضاً يلحظ أنها تؤكد على أن العقل هو الطريق الموصل إلى الحقيقة، حقيقة وجود خالق الكون ومدبره، وفي السطور التالية سأتناول الحديث عن المنهج العقلي للنبي إبراهيم عليه السلام وأساليبه خلال دعوته لأبيه وقومه وملك زمانه.

* المطلب الأول: أساليب المنهج العقلي للنبي إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه.

تجلت معالم دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه عندما خاطبه بترك الشرك بالله ونبد عبادة الأصنام؛ وقد صورتها أبلغ تصوير الآيات الواردة بسورة مريم، حيث يقول ربنا: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ قَالَ أَرَأَيْتُ إِنْ كُنْتُ نَذِيرًا لِّبَنِيكَ أَتَى الْبَنِينَ أَنذَرْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۗ قَالَ سَأَسْتَعْفِفُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۗ وَأَعْتَزُ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١-٤٨]، فهذه الآيات اشتملت على عدة أساليب عقلية انتهجها الخليل خلال دعوة أبيه، منها:

١- أسلوب الاحتواء والتلطف: حرص النبي إبراهيم عليه السلام على هداية قومه، وكان أحرص ما يكون على هداية أبيه الذي كان يعبد الأصنام من دون الله؛ فعزَّ عليه كفره وهو يومئذ أقرب الناس إليه، فرأى أن يخصه بالنصيحة، ويحذره من عاقبة شركه، فخاطبه بأسلوب كله لطف ينبئ عن أدب رفيع، مراعيًا مقام ورابطة الأبوة، فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره، فقال: «يا أبت» وكرر استخدامها عدة مرات في مقدمة كل كلام، وهي كلمة تفيض حناناً وتدلل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب، كما تتجلى فيها معاني البر

وإظهار الرغبة في عدم التخلي عنه، إذ ليس من الأدب مع الأب تركه وما هو فيه من ضلال. وفي أسلوب الخليل مع أبيه درس مهم لكل داعية، لـ«أن الهادي إلى الحق لابد وأن يكون رفيقاً لطيفاً يورد الكلام لا على سبيل العنف؛ لأن إيراده على سبيل العنف يصير كالسبب في إعراض المستمع فيكون ذلك في الحقيقة سعيًا في الإغواء»^(١)، ويتأكد الرفق واللطف مع أهل بيت الداعية، لأن الأسرة ميدانٌ خصّب من ميادين الدعوة لهذا الدّين، والجهد الدعوي ينبغي أن يُوجّه إليها أولاً.

٢- الحجة العقلية: واجه الخليل أباه ابتداءً بسؤال عقلي منطقي لاستشارة انتباهه قائلاً: ﴿يَتَأْتِبَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْغِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ فسأله باستنكار لم تعبد هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني عن نفسها شيئاً فكيف تغني عنم يعبدونها؟ فأبراهيم ﷺ بسؤاله أبيه عن سبب عبادته للأصنام نبهه على خطئه «فإنه إن سمع ذلك وحاول بيان سبب عبادة أصنامهم، لم يجد لنفسه مقالاً ففطن بخطل رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حياً مميّزاً لكانت له شبهة ما»^(٢)، كما نلاحظ أن الخليل ﷺ أدلى بحجة عقلية لا يراودها شكوك، كما أن الحجة في هذا السؤال بينة جلية حيث وصف الأوثان بصفات ثلاثة كل واحدة منها قاذحة في الإلهية، ويعلق الإمام الزمخشري على الآية قائلاً: «العبادة هي غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام: وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وجهت إلى غيره - وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره - لم يكن إلا ظلمًا وعتوًا.. فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور؟ فلا يسمع - يا عابده - ذكرك له وثناءك عليه، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له، فضلاً أن يغني

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٨/١٤٩).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/١١٣، ١١٤).

عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه، أو تسنح لك حاجة فيكيفيها^(١)، وعليه يتبين أن أسلوب الحججة العقلية من أقوى أساليب المنهج العقلي الدعوي إذ لا يمكن للعقل مجابهته إلا ببراهين عقلية مماثلة، فإن تعذر فحينئذ لا يسع العقل إلا أحد أمرين: إما التسليم بما يسمع من الداعية سواء كان تسليمًا كاملاً أو ضمناً، وإما الإنكار والتكبر مع استخدام الأسلوب القمعي لثني الداعية عما يدعو إليه، وهذا الثاني هو ما استخدمه أبو إبراهيم حيث رد عليه قائلاً: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا﴾، فلم يأت بحجة عقلية مقابل حجة الابن، بل ما كان منه إلا الأذى والإساءة للنبي الكريم.

٣- أسلوب التعريض: لم يكتف الخليل بسؤال أبيه عن سبب عبادته للأصنام وإقامة الحججة عليه - وإن كانت كافية - لكنه استمر في حديثه الهادئ وأبوه يستمع إليه، وربما حمله على ذلك حسن أدب ولده معه، وأعاد الابن النداء الحاني الوقور مجللاً بعنوان الأبوة قائلاً: ﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ونلاحظ من الآية أن إبراهيم ﷺ نحى منحى آخرًا بحديثه؛ فذكر لوالده أن الله أعطاه من العلم ما لم يعطه، وأكد كلامه بعدة مؤكدات: (إن)، و(قد) الداخلة على الفعل الماضي، (جاءني) المشعرة بتحقيق الوقوع، وكأنه يُعرِّض في أدب إلى أن جهل أبيه هو الذي أرداه في تلك المهالك، ولكن مقام الوالدين، وأدب النبوة منعه من التصريح بذلك، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق، وإن كان كذلك، وقد أبرز الخليل نفسه في صورة رفيق له، تمهيداً لإقناعه بقبول كلامه، لذا أتبعه بقوله: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ فذكر له كل ما يرغب فيه عاقل وهو الهداية إلى الحق، وذكر له غاية هذه الهداية وفوائدها وهو الصراط السوي حملاً له على الانصياع لمطلبه، أيضاً قوله: ﴿يَتَأَبَّتْ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾

(١) الكشاف للزمخشري (٤/٢٣، ٢٤).

اشتمل على تصريح وتعريض، فنجد صرح له بخطورة الأمر ناهياً إياه عن عبادة غير الله، مصوراً له شناعة فعله بقوله: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، ومعلوم أن الشيطان مذموم في كل الأديان وعند جميع الناس، أيضاً يريد بهذا أن يقول له بطريق التعريض: أن من يعبد الأوثان فقد عبد الشيطان، ومن عبده كان عظيم العصيان للرحمن، مما سبق يتضح: أن التعريض أحد أساليب الدعوة إلى الله، وقد يكون أبلغ في إيصال الفكرة للمدعو، لأن الكلام غير المباشر يؤثر في نفس السامع أكثر من المباشر الذي يواجهه في أكثر الأحيان بالرفض.

٤- أسلوب الترهيب: عاود الخليل نداء أبيه وتوقيه استدراراً لعطف الأبوة قائلاً: ﴿يَتَأَبَتِ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، وهنا نلاحظ أن إبراهيم ﷺ استخدم هذه المرة في دعوة أبيه أسلوب الترهيب، وكأنه استشعر إصرار أبيه على الشرك والعناد، فقال له: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ فحذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، ومما لا شك فيه أن عذاب الله ينفر منه كل صاحب عقل، ويتجنب الوقوع فيه، قال الإمام الرازي: «واعلم أن إبراهيم ﷺ رتب هذا الكلام في غاية الحسن؛ لأنه نبه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد، ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي»^(١)، كما أن الخليل ﷺ استخدم أسلوب الترهيب بذكاء حيث خوفه مع إظهار الإشفاق والمحبة، نلاحظ ذلك من خلال:

أ- عدم التصريح بأن العذاب لاحق الأب وإنما أعلن خوفه عليه، «والتعبير بالخوف الدال على الظن دون القطع تأدب مع الله - تعالى - بأن لا يثبت أمراً فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان»^(٢).

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٨/١٩٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/١١٨).

ب- لطف التعبير في ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾ يوحي بأنه يخاف على أبيه من مس العذاب وإن كان خفيفاً، وهذا الأسلوب يعمل عمله في قلب المدعو، إذ يدعو إلى التفكير في كون هذا الداعي ناصح صادق، فيحمله ذلك على تصديقه.

ج- قوله: ﴿عَذَابٌ﴾ نكرة، وهذا يشعر بأنه يخاف عليه مس أي عذاب كان، كما أن في ذكر العذاب تخويفاً لطيفاً له بطريقة غير مباشرة تجعله يحس بإمكانية العذاب.

٥- أسلوب التدرج: المتأمل في الآيات يجد أن الخليل استخدم مع أبيه أسلوب التدرج بكل أنواعه^(١):

- بدأ معه بالأولويات الواجبة، فكانت الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك به سبحانه هي أول ما دعا إليه، حيث أنكر عليه عبادته للأصنام، وأثبتها للرحمن، وهذا يسمى بالتدرج في موضوع الدعوة.

- بدأ الدعوة بأبيه أقرب الناس إليه، وهكذا يتدرج الداعي في دعوته فلا يُطلب منه أن يخاطب الأبعدين، وأهل بيته من حوله هلكى، وحرى بالداعي أن يبدأ بما بدأ به إبراهيم ومحمد ﷺ، وأن يسلك هذا المسلك في دعوته لأهل بيته، فالأقربون أولى بالمعروف، والإحسان إليهم أكد، وهذا يسمى بالتدرج في الشخص المدعو.

- بدأ الدعوة بأسلوب سهل لين ثم انتقل إلى مستوى أعلى حسبما تطلب الحال والمقام، فأخبره بعلمه، وهذا موجب لاتباعه إياه، وأنه إن أطاعه اهتدى، كما نهاه عن عبادة الشيطان، وحدّره عقاب الله إن لزم هذه الحال، وهذا يسمى بالتدرج في الأسلوب، كانت هذه أبرز الأساليب العقلية التي استخدمها نبي الله إبراهيم ﷺ خلال دعوة أبيه إلى الله ﷻ.

(١) أعني الأنواع الثلاثة: موضوع الدعوة، الشخص المدعو، الأسلوب.

* المطلب الثاني: أساليب المنهج العقلي للنبي إبراهيم ﷺ في دعوة قومه.

لا شك أن الدعوة إلى الله تحتاج لمراعاة أحوال المخاطبين، وهذا يتبعه بالضرورة تعدد أسلوب خطاب الداعية، لذا تنوعت الأساليب التي انتهجها الأنبياء مع أقوامهم، خاصة النبي إبراهيم ﷺ فقد عُرف عنه تخير الأسلوب الأمثل في دعوته، وحشد أساليب كثيرة ومتنوعة في سبيل إرساء دعائم العقيدة في النفوس، وهذا المطلب يُبرز أهم الأساليب العقلية التي استخدمها إبراهيم ﷺ خلال دعوة قومه في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها:

١- أسلوب التدرج: ويمثله قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿العنكبوت: ١٦-١٧﴾، ففي الآيتين استخدم الخليل أسلوب التدرج بأنواعه: أولاً التدرج في مضمون الدعوة، حيث بدأ بالأهم وهو توحيد الله، وبين لهم أن الخير يكمن في عبادته وحده، ثانياً التدرج في الشخص المدعو، فبدأ بدعوة خاصته وهم الأقرب له بعد أبيه، ثالثاً التدرج في الأسلوب، فبدأ بالأسلوب الأسهل على النفس لإبراز حرصه على هدايتهم، فدعاهم دعوة واضحة لعبادة الله وحده، مبيناً أن قبولهم لهذه الدعوة يحمل لهم الخير الكثير لو كانوا مدركين للخير، مستوضحاً فساد ما هم عليه من عقيدة، من خلال: عبادتهم للأوثان، وأنهم اختلقوها من عند أنفسهم بلا دليل أو حجة، كما أنها عاجزة تقديم ما يحتاجون إليه من رزق، موجهاً إياهم أن يطلبوا الرزق من الله سبحانه لأنه المتفضل بالنعم وواهب الأرزاق وإليه المرجع والمآب، وهنا نلاحظ كيف تدرج نبي الله إبراهيم خطوة خطوة في دعوة قومه بأسلوب بسيط مرتب يلمس قلوبهم ونفوسهم.

٢- أسلوب التعريض: وهو عبارة عن وسيلة تلافيفية من شأنها أن تستميل النفوس والعقول وتشد انتباه المتلقين دون تصريح، وقد أورد كثير من المفسرين استخدام الخليل لأسلوب التعريض مع قومه في عدة مواضع، منها:

- قوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٨-٨٩]، ذكر المفسرون أن قوم إبراهيم كان لهم يوم عيد يخرجون إليه، وأراد الخليل أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم قائلاً: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهذا من معاريف الأقوال، والمعاريف هي: أن يقول الشخص لفظاً ظاهراً معناها، ولكن المراد به معنى آخر، قال ابن عاشور: «هو من المعاريف، أي: أي مثل السقيم في التخلف عن الخروج، أو في التألم من كفرهم»^(١)، وإنما استخدم هذا الأسلوب حتى يختلي بآهتهم ليكسرها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه.

- وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، قصد إبراهيم ﷺ التعريض بفساد آهتهم وتوبيخهم، «فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بألهاة؛ لأنهم إذا قالوا إنهم لا ينطقون، قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النطق، ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه؟ فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق، فإن ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرتة»^(٢)، وعن الآية قال الإمام السيوطي: «هذا أصل في استعمال المعاريف»^(٣).

٣- أسلوب الاستدراج: ويمثله قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِيكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٨]، والمتأمل في الآيات يلحظ أن مناظرة الخليل مع قومه إنما هي مناظرة استدراجية، بمعنى أنه أراد أن يستقطب قومه إلى أمر يريده من خلال إقامة الحجة عليهم بأدلة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/١٤٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/٩٣٩).

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي (ص ١٧٩).

محسوسة، تبين بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية، فكلًّا من الكوكب والقمر والشمس له أفول، لأنها مخلوقات تظهر وتختفي، ولا يمكن لها مهما عظمت أن تكون ربًّا، إذ الرب لا يغيب ولا ينقطع نظره عن مخلوقاته، وفيما يلي سرد لاستدراجات الخليل لقومه خلال هذه المناظرة:

أ- عدم تصريحه ﷺ بالدعوة إلى الله أولاً، لأنه لو فعل ذلك لاصطدم بمعتقداتهم وما استطاع أن يجاريهم، ولكنه أظهر موافقتهم على ما هم عليه لاستدراجهم إلى استماع حجته، وليمكن من ذكر الأدلة على بطلان ما هم عليه، قال الرازي: «ولو صرح بالدعوة إلى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة...، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله»^(١).

ب- عدم مواجهتهم من أول الأمر بأن عبادتهم للكواكب باطلة، لأنه لو فعل ذلك «لوقفوا في وجهه من أول وهلة لسماع كلامه، ولكنه كان حاذقاً في أسلوب الاستدراج، ماهراً في استمالة أذهانهم للوصول إلى الحق»^(٢).

ج- قصد إبراهيم ﷺ بقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ حكاية قول الخصم، وافترض الباطل استدراجاً للخصم لا اعتقاداً أو إقراراً بقوله، لذا ذكر بعده ما يدل على فساده، وهو قوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾، وهذا «قول من ينصف خصمه، مع علمه أنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأنه أدعى إلى الحق، وأنجى من الشغب، ثم ينكر عليه بعد حكايته، فيبطله بالحجة»^(٣).

د- انتقل إبراهيم ﷺ بعد ذلك إلى مرحلة تشكيكهم فيما يعتقدون، وذلك بإثبات أفول الكواكب الدال على كونها عاجزةً وحادثية، ليصل معهم إلى ما يريد منهم، وهو الإيمان بالله والكفر بالكواكب، وكان يتلطف ويتمهل معهم ليصلوا بأنفسهم إلى الحقيقة، «فبين لهم أولاً

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٤١ / ٧) باختصار.

(٢) مناهج أولي العزم من الرسل، أ. د. عبد الوهاب عبدالعاطي عبد الله (ص ١٠٠).

(٣) مدارك التنزيل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (١ / ٥١٧).

عدم صلاحية الكواكب للعبادة، فبدأ بالزهرة، ثم ترقى منها إلى القمر، الذي هو أضوأ منها وأبقى من حسنهما، ثم ترقى إلى الشمس، التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياءً وسناءً وهباءً، فبين أنها مُسَخَّرَةٌ مسخرة مقدرة، مربوبة^(١).

مما ذكر يتضح تجنب إبراهيم ﷺ أسلوب الصدام المباشر مع قومه، فقد كان يقر الخصم على سبيل الافتراض؛ ليستدرجه بعد ذلك لما يريد، وهذا من الأساليب الدعوية العقلية التي ينبغي على الداعية التمرس عليها.

٤- أسلوب الشدة بعد اللين: لا شك أن أساليب الدعوة تختلف باختلاف حال المدعويين،

وأن الداعية يمكنه استخدام أكثر من أسلوب حسبما يقتضيه المقام، فعلى سبيل المثال: إذا أظهر المدعو العناد انتقل الداعية من لين القول معه إلى الشدة، كما جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، كذلك الخليل إبراهيم عندما أدرك أن أسلوب اللين والتلطف مع قومه لم يأت بنتيجة انتقل إلى أسلوب أشد، فخاض في التعنيف محاولاً فتح مداركهم العقلية على واقع معبوداتهم، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ٥٦ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ٥٨ قَالُوا مِن فَعَلْ هَذَا بَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَ إِبْرَاهِيمُ ٦٠ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١ قَالُوا عَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ

(١) البداية والنهاية للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي (١/١٦٥).

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [الأنبياء: ٥١-٦٧]، وفي ضوء الآيات يمكن استنباط بعض أساليب الشدة التي مارسها الخليل مع قومه، منها:

أ- مواجهة إبراهيم ﷺ لقومه وصدعه ببطان عبادتهم وفساد معتقداتهم، فعاب عبادتهم للأصنام قائلاً: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، منبهاً على أن ضلالهم هذا نتيجة تقليدهم الأعمى لآبائهم.

ب- تصريحه بالدعوة إلى الله، فقال: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، مبيناً أن معبوداتهم لا تستحق العبادة بل الله رب السماوات والأرض الذي خلقهن هو من يستحقها.

ج- إعلانه الحرب عليهم وعلى أصنامهم وتوعده بتحطيمها، فجعلها قطعاً عدا الصنم الأكبر، فقال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، وفي هذا إثبات عملي وفعلي لعجز الأصنام عن دفع الأذى عن نفسها.

د- إجابتهم بتضجر وعنف على غير عادته عندما طلب منهم استنطاق الصنم الأكبر، ومن ثم اعترافهم بعدم قدرته على النطق، قائلاً: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وهي مقولة نستشف منها ضيق صدره، وغيظ نفسه، لكنهم بعد انقطاع العذر وفقد الحججة وإبطالها بالأسلوب العقلي ووضوح الحق أخذتهم العزة بالإثم، فاستخدموا أسلوب القوة لقمع الخليل وثنيه عما يدعو إليه، لكن الله انتصر له ولم ينله أذى.

٥- أسلوب الحججة العقلية: وهب الله خليله الحججة والبرهان، فكان بليغ الحججة، يسوق البراهين بصورة تتفاعل مع ما تنطوي عليه النفس، ويُعد الخليل إمام الدعاة في استخدام هذا الأسلوب، قال ابن قيم الجوزية: «وهو الذي فتح للأمم باب مناظرة المشركين وأهل الباطل

وكسر حججهم، وقد ذكر الله سبحانه مناظرته في القرآن مع إمام المعطلين، ومناظرته مع قومه المشركين، وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة، وأقربها إلى الفهم وحصول العلم^(١)، ومن المواقف التي التزم فيها النبي إبراهيم بإقامة الحجة العقلية على أبيه وقومه ودحض حججهم الباطلة، ما سجلته آيات سورة الشعراء: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَظِيمِينَ ۗ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ۗ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۗ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۗ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ ۗ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۗ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۗ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ۗ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ۗ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ۗ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٢]، ففي هذه الآيات أراد الخليل أن يقيم الحجة الدامغة على قومه موضوعًا فساد معتقدتهم وبطلان معبوداتهم، فخطبهم مستفهمًا عن معبوداتهم، فأجابوه صراحة أنهم يقيمون على عبادة الأصنام، ثم أورد استفهامًا آخرًا عن بعض صفاتها من حيث سماعها لدعائهم أو عدمه - فقال هل تسمعكم هذه الأصنام عندما تدعونها - وأيضًا ما يلحقهم منها من نفع أو ضرر^(٢)، وهذا الاستفهام منه لتقرير الحجة عليهم، قال الرازي: «وتقرير هذه الحجة التي ذكرها إبراهيم ﷺ أن الغالب من حال من يعبد غيره أن يلتجئ إليه في المسألة ليعرف مراده إذا سمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة، فقال لهم: فإذا كان من تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم، ولو عرف ذلك لما صح أن يبذل النفع أو يدفع الضرر، فكيف تستجيزون أن تعبدوا ما هذا وصفه؟ فعند هذه الحجة القاهرة لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به هذه الحجة فعدلوا إلى أن قالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال^(٣)، فالقوم لا يملكون حجة قوية لدفع

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لأبي عبد الله ابن قيم الجوزية (ص ٢٧٥).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٩/١٢٣).

حجة إبراهيم، غير أنهم كشفوا عن تحجرهم وتبعيتهم لأبائهم بلا وعي ولا تفكير، عندئذٍ خصمهم إبراهيم ﷺ معلناً عداوته لهم جميعاً، فلا مجالمة لوالد ولا لأهل في العقيدة، سألهم هل تفكرتم في معبوداتكم التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر حتى تتبينوا أنكم على ضلالة وجهالة، إذا فالآية اشتملت على ثلاثة استفهامات: «الأول: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ للاستدراج ليحيبوا بما أجابوا فينبههم على بطلان عقيدتهم وضلالهم، والاستفهام الثاني: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ للإنكار والتوبيخ والتبكي، أما الاستفهام الثالث: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ فهو «ليتصوروا حقيقة أصنامهم في الذهن ثم يسمعوا حكم إبراهيم ﷺ عليها، وهي حاضرة فاشلة في أذهانهم»^(١)، مما سبق يتبين أن إبراهيم ﷺ أراد إشراك قومه في الوصول إلى هدفه عن طريق إقامة الحجة العقلية، فوجه إليهم عدة أسئلة ليشهدوا على أنفسهم ببطلان ما يعتقدونه، عقبها أخذ إبراهيم ﷺ في بيان بعض صفات ربه التي يستحق العبادة لأجلها، قال ابن رجب: «فإن من تفرد بخلق العبد وهدايته وبرزقه وإحيائه وإماتته في الدنيا، وبمغفرة ذنوبه في الآخرة مستحق أن يتفرد بالإلهية والعبادة والسؤال والتضرع إليه والاستكانة له، قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»^(٢).

٦- أسلوب البراء^(٣): هو أحد أصول العقيدة، ومن مستلزمات كلمة التوحيد وأصل الإيمان، ومن الآيات التي أشارت إلى مسألة البراء، قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د عبد العظيم إبراهيم المطعني (ص ٩٨).

(٢) تفسير ابن رجب، للإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٢/ ٥١)، والآية من سورة الروم: ٤٠.

(٣) البراء: أصله برئ وبرئ معناها تخلص، وقيل: وبرئ إذا تنزه وتباعد. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٢/ ٤٧)، مادة: بَرَأَ.

والبراء نقيض الموالاتة، والمراد بالولاء والبراء: محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، والبراءة منهم ومن دينهم.

أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿[آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...﴾ [الممتحنة: ١]، والبراء نهج الأنبياء، ومما اتفقت عليه الشرائع، فإبراهيم ﷺ والى وعادى في الله، بل إنه قيل في معاني لفظ الخليل أنه «الذي يُوالي في الله ويعادي في الله»^(١)، والبراء تكرر على لسان الخليل في عدة مواطن فتارة يُلمح به وأخرى يُصرح، منها:

أولاً: التعريض بالبراء: كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ففي الآية يذكر النبي إبراهيم أن من تبعه فهو على ملته ودينه، وأما من عصى وأصر على الشرك فهنا يُعرض الخليل البراءة منه، ويرد أمره إلى مشيئة الله، إن شاء الله غفر له؛ لأنه هو الغفور الرحيم.

ثانياً: التصريح بالبراء: سجل القرآن الكريم في أكثر من آية إعلان الخليل براءته من المعبودات التي اتخذها أبوه وقومه من دون الله، منها قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وأيضاً قوله لعبدة الكواكب لما أفلت الشمس: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩]، وكذا قوله: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ أَتَقَدَّمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]، ففي الآيات نلاحظ مواجهته لأبيه وقومه معلناً مخالفته لعقيدتهم الباطلة، غير منساق وراء موروثاتهم العقدية الزائفة، بل صرح ببراءته من الأصنام والأوثان التي يعبدونها وعداوتها لها، وفي ذات الوقت أعلن موالاته لله المستحق للعبادة بحكم أنه الفاطر الذي فطره وأوجده، فهو وحده معبوده، أيضاً لم يكتف النبي إبراهيم بالبراءة من المعبودات فقط بل تبرئ من العابدين أنفسهم،

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٤٢).

معلنًا عداوته وبغضه لهم في الله، فصرح بالبراءة من أبيه كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، كما تبرئ من قومه وما يعبدون جملة واحدة، كما في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، قال الإمام الشنقيطي: «التأسي هنا في ثلاثة أمور: أولاً: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله، ثانياً: الكفر بهم، ثالثاً: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها أبداً إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبداً، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم»^(١)، وعليه أصبح النبي إبراهيم قدوة في التبرؤ من أعداء الله، لذا أمر الله كل من يدعو إلى سبيله بالافتداء به في البراءة من الشرك وأهله، لأن فيها:

- ١- ظهور العقيدة الصحيحة وبيانها وعدم التباسها بغيرها.
- ٢- إشعار للمدعويين المعرضين بأنهم على باطل، فمقاطعة الداعية لهم خير دليل على اعتناقه الحق ودعوته له، ولعل في هذه المقاطعة ردعاً لهم عما هم عليه.
- ٣- في إعلان الداعية البراءة تحقيق المفاصلة بين أهل الكفر وأهل الإسلام.

* المطلب الثالث: أساليب المنهج العقلي للنبي إبراهيم ﷺ في دعوة النمرود.

برزت معالم دعوة إبراهيم ﷺ لملك زمانه النمرود من خلال آية واحدة في القرآن الكريم هي قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والمتدبر للآية الكريمة

(١) أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام الشنقيطي (٨/ ٨٥).



يلحظ اشتغالها على أسلوبيين من الأساليب العقلية التي استخدمها النبي إبراهيم ﷺ خلال دعوته للنمرود، وهما:

١- أسلوب الحجة العقلية (المناظرة): لقد حاج النمرود إبراهيم ﷺ في ربه، وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره، وكأنه طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فناظره بصفيتين من صفات الله سبحانه صفتي الإحياء والإماتة التي يتفرد بهما الخالق وحده دون الخلق، ولم يجادله بصفة مشتركة بينه وبين مخلوقاته، إنما قال ربي الذي يحيي من العدم ويميت، «دليل إبراهيم ﷺ كان في غاية الصحة، وذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من القادرين والإحياء والإماتة كذلك؛ لأن الخلق عاجزون عنهما»^(١)، لكن قول الخليل له حقيقةً ومجازاً، فإبراهيم قصد إلى الحقيقة، وفتح النمرود إلى المجاز قائلاً: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فدعا برجلين مما كانا في سجنه، فأمر بقتل أحدهما، وأمر بالعفو عن الثاني، فقال: أنا أستحيي من شئت، وأقتل من شئت! وهذا تجاهل من النمرود لحقيقة الإحياء والإماتة، وتمويه وإضلال لقومه وليس للنبي إبراهيم، هنا أدرك الخليل أن «مكابرة النمرود استدخله في جدال بسبب مغالطته والانتفاف على الدليل العقلي، لذلك لم يريد مواصلة الجدل معه لأنه لن يفضي إلى نتيجة، خاصة وأن ما فعله النمرود أمر يقدر على فعله أي إنسان لا سيما وإن كان ذو ملك»^(٢)، عندئذ غير الخليل مجرى المناظرة عن طريق حجة أخرى أوضح لا سبيل فيها إلى المراوغة، فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن أسلوب الحجة العقلية من أقوى أساليب المنهج العقلي الدعوي، التي لا يمكن للعقل معارضته إلا بحجج

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ٢١).

(٢) القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، للشيخ جعفر السبحاني (ص ١٩٨).



عقلية مثيلة، وهنا يُلاحظ أن النمرود لم يأت بحجة عقلية مقابل حجة الخليل الثانية، فلم يسعه إلا الاستسلام الكامل كما بينه قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قال الطبري: «والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة؛ لأن أهل الباطل حججهم داحضة»^(١).

٢- أسلوب الاستدراج: كان قصد إبراهيم ﷺ إثبات أن الله تعالى هو الذي يحيي ويميت بغير أسباب، وأنه القادر على ذلك ابتداءً، وذهب النمرود حسب تصوُّره أن الإحياء والإماتة إنما هي بالأسباب فقط؛ ولهذا فإن الأمر في مقدوره؛ ولأن الأمر ليس كذلك، فإن إبراهيم ﷺ لم يسترسل معه في هذا الاتجاه، ولم يقل له: رُدَّ إليه الحياة مرة أخرى؛ لأن هذه حقيقة مُسَلِّمة، ومعلومة لدى النمرود وغيره، أنه لن يقدر على إحياء الرجل الذي قتله، لذا تحول عن هذه النقطة مستدرجاً إياه إلى حقيقة أخرى وتوصل إلى الحق دون التواء ولا تقبل المراوغة، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ بهذه الجملة كان ذلك الاستدراج من إبراهيم ﷺ حجة دامغة لا تحتمل المجاز والتأويل، صورها المشهد القرآني وكأنها صاعقة للنمرود لم يجد لنفسه مخرجاً، فكانت الفيصل في الجدل، فإبراهيم ﷺ ابتعد عن أسلوب الصدام المباشر، حيث أقر الخصم على سبيل الجدل؛ ليستدرجه بعد ذلك لما يريد، وبالفعل عجز عن الإجابة، وانتهى الأمر بالاستسلام، من هنا يتبين أنه على الداعية أن يتعد عن المواقف التي تحتمل التأويل أو المراوغة من الطرف الآخر، حتى لا يعود الجدل إلى حيث بدأ، فأى جدال لا بد أن يبنى على قواعد وأسس بينة لينطلق الحوار منها، وينتهي بحقيقة لا يمكن منها الهروب، أيضاً ضرورة تزود الداعية بـ«الحجة البالغة في البيان وسرعة البديهة في تلك المواقف المفصلية، دون انجراف أو ابتعاد عن الثوابت والمبادئ التي يؤمن بها، لإثبات حقيقة الدعوة

(١) جامع البيان للطبري (٥/٤٣٣).

الصادقة إلى الله تعالى»، هذا وبعد عرض الأساليب العقلية الدعوية التي مارسها الخليل إبراهيم عليه السلام خلال رحلته الدعوية إلى الله، ودلالاتها الواضحة على أن العقل هو السبيل الموصل إلى معرفة الله والإيمان به، تجدر الإشارة إلى أن مسيرة الدعوة إلى الله مستمرة من لدن رسل الله وحتى عصرنا الحالي، حيث حمل بعض رجال الإسلام لواء الدعوة فبذلوا الجهد واستفرغوا الوسع في اختيار الأسلوب الأمثل الذي يوصل إلى المقصد، وهو هداية الناس ودخولهم في دين الله، فله الحمد والمنة أن قيض لدينه من يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يقارع خصومه ويرد على شبهاتهم بالحجة العقلية والمجادلة الحسنة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه كما يحبه ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على أزكي خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلي آله وصحبه، ومن دعا بدعوته وسار على هديه إلي يوم الدين، أما بعد: فإن من نعم الله عليّ - ونعمته لا تُعد - أن وفق وأعان لإتمام هذا البحث، وتحسن الإشارة في نهايته إلى أهم النتائج، وأبرز التوصيات، وهي كالآتي:

* أولاً أهم النتائج:

تمخض البحث عن عدة نتائج أسردها فيما يلي:

- ١- الدعوة إلى الله - تعالى - لها عدة مناهج، ولكل منهج أساليبه الخاصة حسبما يقتضي الحال، غير أنها جميعًا ترتبط بالعقل سواء بشكل مباشر أم لا، فالإيمان بالله الواحد الأحد مبني على فئات عقلية، وإن اختلفت المناهج وتعددت الأساليب، هذا لأن العقل مناط التكليف.
- ٢- تنوع أساليب المنهج العقلي الدعوي منها ما يتسم باللين والمدارة (كالاحتواء، التعريض، الاستدراج، والترغيب، التدرج)، ومنها ما يوصف بالعنف والشدة (الترهيب، المناظرة، البراء، وأسلوب الشدة بعد اللين).
- ٣- اتسم المنهج العقلي الدعوي لإبراهيم ﷺ بأنه أنموذجاً جامعاً لمعظم الأساليب - سالف الذكر -، حيث استخدم كل الوسائل التي تجذب عقول المدعوين، فبدأ بالأسلوب السهل اللين الهادئ منتقلاً تدريجياً إلى مستوى أعلى وأشد حسبما يقتضي المقام، وعليه فالداعية المخلص يستخدم شتى الوسائل لإيصال دعوته.
- ٤- كثرة استخدام الخليل ﷺ للأساليب العقلية الدعوية خلال دعوته أبيه وقومه، وقتلها أثناء مناظرته ملك زمانه، مما يدل على أن أصرة القرابة لها عناية خاصة أثناء مرحلة الدعوة،

فالنبي إبراهيم بدء دعوته بأبيه ثم قومه ثم انتقل إلى من هو أبعد، وهذا يؤكد ضرورة مراعاة الشعور الفطري والبعد النفسي لدى الداعية وعنايته بذوي قرابته فهم أولى بهذه الهداية من غيرهم.

٥- تجنب إبراهيم ﷺ أسلوب الصدام المباشر سواء مع أبيه أو قومه أو ملك زمانه، وكان دأبه إقرار الخصم على سبيل الافتراض؛ ليستدرجه بعد ذلك لما يريد، وعليه فالاستدراج أسلوب هام ينبغي تفقهه.

٦- تعدد أساليب المنهج العقلي الدعوى يكشف لنا ضرورة الموازنة بين أسلوب الدعوة إلى الله وبين عرض مضمون الدعوة خاصة في المجتمعات المختلفة، فكل مجتمع له منهجه وأسلوبه الدعوي المناسب له سواء من حيث العقائد أو الأحكام.

٧- المنهج العقلي الدعوي يعتمد على جملة من الأساليب الإقناعية التي من شأنها تدعو المتلقى للتأمل وإعادة النظر فيما يعتقد، منها: أسلوب الاحتواء والملاطفة واللين، أسلوب الكلام غير المباشر (التعريض)، إقامة الأدلة والحجج التي تثبت بطلان ما يعتقد الخصم، أسلوب التدرج، الترغيب والترهيب، استعمال الشدة، فهذه أهم أساليب المنهج العقلي المستنبطة من خلال قصص الانبياء في القرآن عامة والخليل خاصة، لذا فهى تُعد قواعد رئيسة يجب على الدعاة أخذها بعين الاعتبار أثناء سيرهم في طريق الدعوة إلى الله.

* ثانيًا أهم التوصيات:

١- ضرورة دراسة الدعاة لمنهج الخليل ﷺ العقلي وأساليبه، حتى يتمكنوا من مقارعة الخصوم والرد على شبهاتهم، فإن ما تعرض له في دعوته هو مصير الدعاة في كل عصر، وإن اختلفت المسميات وتطورت الوسائل وتعددت، لذا فإنه يُعد نبراسًا للدعاة في الصبر والجهاد والصدع بالحق قولاً وفعلاً في كل زمان ومكان.

٢- ينبغي على الداعية تعيين مواطن الغي والضلال في المجتمع الذي يدعو فيه، وتحديد

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

الأساليب التي تتفق مع عقول أفرادها واستعداداتهم، فإنه إن استطاع ذلك فسينجح في مهمته بحول الله.

٣- يجدر بالداعية التحلي بالرفق وحسن الخلق حتى يُقبل الناس على دعوته، وتجنب الصدمات المباشرة التي تنفرهم عنه، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فإن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يُعطي على غيره.

٤- أهمية تعاون المراكز والمؤسسات الدعوية فيما بينهم، وذلك بوضع خطط وبرامج مشتركة تناسب المجتمع الدعوي وفتاته حتى تؤتي الدعوة ثمارها المرجوة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم - جَلّ من أنزله - .
- الإحكام في أصول الأحكام. الأمدي، علي بن محمد أبو الحسن (ت ٦٣١هـ). تحقيق: د. سيد الجميلي. ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ). د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- أصول الدعوة ومناهجها «دراسة تأصيلية تحليلية»، د. رمضان محمد مطا زيد، وآخرون. د. ط، ٢٠١٩م.
- الإكليل في استنباط التنزيل. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). تحقيق: سيف الدين عبد القادر. د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١م.
- البحث العلمي. عبد الرحمن بدوي. د. ط، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.
- البداية والنهاية. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ). تحقيق: علي شيري. ط ١، د. م، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والإتحاد. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: موسى بن سليمان الدويش. ط ٣، د. م، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر. د محمد منير حجاب. ط ١، د. م، دار الفجر، د. ت.
- التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الفاضل بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ). د. ط، تونس، دار سحنون، ١٩٩٧م.
- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. د. ط، د. م، دار طيبة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني. د.ط، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التفكير فريضة إسلامية. العقاد، عباس محمود (ت ١٩٦٤م). ط ٢، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ). د.ط، د.م، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). د.ط، مصر، دار المعارف، ١٣٧٤هـ.
- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ). د. ط، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط ٢، الكويت، دار العروبة، ١٩٨٧م.
- درء تعارض العقل والنقل. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. ط ٢، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩١١م.
- روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي. ابن رجب، عبد الرحمن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ). ط ١، د.م، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير السبع المثاني والقرآن العظيم. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ). د.ط، د.م، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ). د.ط، د.م، المكتبة العصرية، د.ت.
- صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ). د.ط، دمشق - لبنان، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٢٥هـ). تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. د. ط، د. م، دار الفكر، د. ت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ). ط ٦، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- فقه الدعوة في صحيح البخاري. سعيد بن علي بن وهب القحطاني، ط ١، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ.
- القاموس المحيط. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. ط ٨، د. م، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف. جعفر السبحاني. د. ط، بيروت، دار جواد الأئمة، ٢٠٠٧م.
- الكشاف. الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم (ت ٥٣٨هـ). ط ١، د. م، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- كيف نتعامل مع القرآن. الغزالي، محمد (ت ١٩٩٦م). ط ٢، د. م، المكتب الإسلامي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- لسان العرب. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ت ٧١١هـ). د. ط، د. م، دار صادر، ٢٠٠٣م.
- مجموع الفتاوى. ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. د. ط، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢هـ). ط ١، د. م، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- المحرر الوجيز. ابن عطية، عبد الحق بن محمد الأندلسي (ت ٥٤١هـ). ط ٢، د. م، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

أساليب المنهج العقلي الدعوي، النبي إبراهيم ﷺ أنموذجاً

- مدارك التنزيل. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠هـ). ط ١، د.م، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المعجم الفلسفي، مراد وهبه (ت ١٩٧٢م). ط ٥، القاهرة، دار قباء الحديثة، ٢٠٠٧م.
- مفاتيح الغيب. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن حسين أبو عبد الله (ت ٦٠٦هـ). د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.
- المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ). د.ط، د.م، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.
- مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). د.ط، المغرب، دار الجيل، ١٩٩٩م.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (ت ٥٠٥هـ). تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي. ط ١، قبرص، دن، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المنار. محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ). د.ط، القاهرة، دار الهيئة المصرية، ١٩٩٠م.
- مناهج أولي العزم من الرسل. عبد الوهاب عبدالعاطي عبد الله. ط ١، د.م، دار الطباعة المحمدية، ١٤١٢هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ). تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان. د. ط، د.م، دار عثمان بن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية. الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ). ط ١، د.م، دار الحديث، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- النقد الأدبي، أحمد أمين، ط ٤، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة. علي محفوظ. ط ٤، د.م، دار الاعتصام، د.ت.
- الوسائل الدعوية. أحمد بن عبد العزيز الحمدان. موقع الألوكة، <http://net.alukah.majles://http>



Bibliography

- Alquran alkarim, jala liman anzalah.
- Al'ahkam fi 'usul al'ahkam, al'ayaamdi, ali aibn muhamad 'abu alhasan. tahqiq:dr sayid aljamili, bayrut, dar alkitaab alearabii, (1404).
- 'Iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim, 'abu alsaed, muhamad aibn muhamad aleamudi. bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii.
- 'Usul aldaewat w manahijuha dirasat taqasiy li tahliliat • ramadan muhamad mateam zayd, wakhrun. (2019).
- Al'iiklil fi 'usi tanbat altanzil, alsuyutii, eabd alrahman aibn 'abi bikr. tahqiq: sayf aldiyn eabd alqadir. bayrut, dar alturath aleilmia, (1981).
- Albahth aleilmu, eabd alrahman Badawi. alqahirat, dar alnahdat alearabia, (1968).
- Albidayat walnihayat, aibn kathir, asmaeil aibn oumar. tahqiq: eali shiri. dar 'iihya' alturath alearabii, (1988 – 1408).
- Bghit almurtadu fi alradi alaa almutafalisafat alqaramitat albatiniat 'ahl al'iilhad min alqayilin bial hwalu li walaitihad, aibn taymiat, 'ahmad aibn eabd alhalim aibn eabd alsalam. tahqiq: musaa aibn sulayman alduwaysh. maktabat aleulum walhukm, (2001 – 1422).
- Tajdid alkhitaab aldiynii fi daw' alwaqie almueasir, dr muhamad munir hijab. dar alfajr.
- Altahrir waltanwin, iabn eashur, muhamad alfadil abn muhamad altaahir. tunis, dar sahnun, (1997).
- Altafsir albalaghiu lilaistifham fi alquran alkarim, dr eabd aleazim 'iibrahim almiqtaeani. alqahira, maktabat wahba, (1999 – 1420).
- Tafsir alquran aleazim, liaibn kathir, aismaeil aibn eumar alqurashii aldimashqii. tahqiq: sami aibn muhamad salama. dar tayiba, (2002 – 1422).
- Altafkir faridat 'iislamiat, aleaqaad, eabaas mahmud. sayidat - bayrut, almaktabat aleasria.
- Taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanan, alsaedii, eabd alrahman abn nasir. dar aljawzi, (1422).
- Jamie almayan ean tawil ay alquran, altabarii, muhamad aibn jarir. misr, dar almaearif, (1374).
- Aljamie liahkam alquran, alqurtubii, muhamad aibn 'ahmad al'ansari. Bayrut - lubnan, dar alfikr, (2002 – 1422).
- Jla' al'iifham fi fadl alsalaat ealaa muhamad khayr alanam, aibn qiam aljawziat, muhamad aibn 'abi bakr bin 'ayuwb. Tahqiq: shueayb al'arnawuwat. alkuayt, dar aleuruba, (1987).
- 'Ayu taearud aleaql walnaql, aibn taymiat, 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam alharaani. Tahqiq: muhamad rashid salim. almamlakat alearabiat saeudiat, jamieat al'iimam muhamad bin sueud, (1911-1411).
- Rawayie altafsir aljamie fi tafsir al'iimam aibn rajab alhanbali. aibn rajab, eabd alrahman alhanbali. dar aleasima, (2001 – 1422).



- Ruh almaeani fi tafsir alsabe almathani walquran aleazim. alalwasy, shihab aldiyn alsayid mahmud, dar 'iihya' alturath alearabii.
- Snan 'abi Dawud. 'abu dawud, sulayman bin aliashaeath alsijn astani alasidi. almaktabat aleasria.
- Shih albukharii. albukhariu, muhamad aibn asmaeil aljuefi. Dimashq - lubnan, dar aibn kathir, (1993 – 1414).
- Fatah albari sharh sahih albukharii. aibn hajar, 'ahmad aibn eali aibn muhamad aleasqalani, tahqiq: eabd aleaziz aibn eabdallah aibn baz. dar alfikr.
- Fatah alqadir aljamie bayn finy alriwayat wudi rayat min eilm altafsir. alshuwkanii, muhamad aibn eali aibn muhamad.alriyaad, maktabat alrushd, (2009 – 1430).
- Faqah aldaewat fi sahih albukharii. saeid aibn eali aibn wahab alqahtani, almamlakat alearabiat saeudiat, alriyasat aleamat li'iidarat albuqhuth aleilmiat w al'iifta' waldaewat wal'irshad, (1421).
- Alqamus almuhit. alfayruz 'abadi, muhamad aibn yaequb. Tahqiq: muhamad naeim alearqasus. muasasat alrisala, (2005 – 1426).
- Alqisas alquraniat dirasat wamuetayat wa'ahdaf. jaefar alsabhani. bayrut, dar jawad alayima, (2007).
- Alkashaf. alzumakhshariu, mahmud aibn eumar 'abu alqasim. maktabat aleabikan, (1418).
- Kayf nataeamal mae alquran. alghazalii, muhamad. almaktab all'islamii, (1420).
- Isan alearab. abn manzur, jamal aldiyn muhamad abn makram. dar sadir, (2003).
- Majmue alfataawi. aibn taymiat, 'ahmad aibn eabd alhalim alharaani. Tahqiq: eabd alrahman aibn muhamad aibn qasim. almamlakat alearabiat alsueudiat, majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharif almadinat almunawara, (1995 – 1416).
- Mahasin altaawil. alqasimi, muhamad jamal aldiyn. dar 'iihya' alikutub alearabia, (1376)
- Almuharir alwajaz. liaibn eatiat, eabd alhaq aibn muhamad al'andalusi. tabaqat wizarat al'awqaf alqataria, (2007 – 1428).
- Madarik altanzil. alnisafii, eabd allah abn 'ahmad aibn mahmud. dar alkalm altayib, (1998 – 1419).
- Mafatih alghayb. alraazi, fakhr aldiyn muhamad aibn eumar aibn husayn. bayrut, dar alikutub aleilmia, (2004 – 1425).
- Almiejam alfalsafii. murad wahbat. alqahirat, dawr qabayil haditha, (2007).
- Almufradat fi gharayb alquran. alraaghib al'asfahani, alhusayn aibn muhamad. maktabat nizar mustafaa albaz.
- Maqayis allughat. libin faris, 'ahmad aibn zakariaa. almaghrib, dar aljil, (1999).
- Almaqsid al'asnaa fi sharh maeani 'asma' allah alhasana'. alghazali, muhamad aibn muhamad 'abu hamid. Tahqiq: basaam eabd alwahaab aljanibii. qubrus, (1987 – 1407).
- Almanar. muhamad rashid rida. alqahirat, dar alhayyat almisria, (1990).
- Manahij qawli aleazm min alrusul. eabd alwahaab eabd aleati eabd allah. dar altibaeat almuhamadia, (1412).



- Almuafaqat fi 'usul alsharieat. alshaatibii, 'iibrahim aibn musaa. Tahqiq: 'abu eubaydat mashhur alsalman. dar euthman bin efaan, (1997 – 1417).
- Nusb alraayat fi takhrij ahadith alhidayt. alziylei, jamal aldiyn eabd allah bin yusif. dar alhadith, (1995 – 1415).
- Alnaqd al'adabiu. 'ahmad 'amin. Bayrut - lubnan, dar alkutaab alearabii, (1967).
- Hidayat almurshidin 'iilaa tariq alwaez walkhitab. eali mahfuz. dar alaietisam.
- Alwasayil aldaeawiat. 'ahmad aibn eabd aleaziz alhamdan. mawaqiei al'uluka, net.alukah.majles://http.



